الهوية وصراع القيم

مزغراني حليمة ، أستاذة محاضرة
جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس ، الجزائر

1. التصور الأنثروبولوجي للثقافة والقيم

للثقافة وظيفتين: فهي تعطي للفرد مجموعة مقننة من القيم وتعرف وتنظم وتراقب الوسائل المقبولة لبلوغ هذا الهدف أو هذه القيمة ويضمن سير هذه الوسائل الاجتماعية من استبطان هذه المعايير الامتثالية .توجد إذن علاقة بين القيم المشتركة من حيث هي ملكية البنية الاجتماعية والقيم الشخصية من حيث هي ملكية الفرد. إلا أن ازدياد الجمعيات وتغير الجماعات حسب المصالح الجديدة والنقل الإعلامي السريع يضعف تدريجيا الروابط بين القيم الجماعية والقيم الفردية[1].

وتنجم عن هذا صراعات تميز فترة المراهقة وتعزى إلى صراعات الأجيال التي تنجم من الوظائف المختلفة المسندة إلى الاشتراك بواسطة الأسرة أو الإشراك بواسطة الأنداد.يكون الانحراف ناتجا عن الصعوبة التي تعترض بعض الأفراد في اجتياز هذه المراحل وللخروج من النماذج التقليدية من طراز عائلي لإقامة علاقات في صورة جديدة من العالم في إطار أوسع.

يقول انقلاند England 1960 مايلي: "أنا على اتفاق في أن يكون أصل دوافع انحراف الشباب في سياق التبادل في تكيفه الفج والذي تنقصه التجربة والذي ينتقي

[1] دوني سزابو، دوني قاني، أليس باليزو- "المراهق والمجتمع" – دراسة مقارنة- ترجمة د. الطاهر عبسي- الأزهر- بوغنبوز ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1994.، ص108

من بين قيم الكبار قيما تسمح له بهروب متعي" يستنتج أن قيم ثقافة الشباب لا تمثل سوى صورة هزلية لثقافة الكبار فمرحلة المراهقة ليست فقط إعداد أو تدربا في عالم الكبار بل أصبحت حالة حياة من خاصياتها الأساسية تقبل إيديولوجية متجانسة من القوى التي تمثل الشباب.

وقد وجدت وجهة نظر مرتبطة بالعلاقة بين القيم والانحراف وهي مستقاة من السوسيولوجية التقليدية التي تخص التأثير المهيمن للثقافة وسياق نقل القيم من الكبار إلى الأجيال الصغيرة عن طريق المؤسسات التقليدية وقد يبدو أن المراهقين وخاصة المنحرفين يفلتون من سياق هذا النقل فيصبحون سريعي التأثر ومتفتحين على المعلومات الآتية من المصادر الأخرى. إن التميز الموضوعي بين القيم والرسالة لم يكن أمرا طارئا. فهو يعرض واقعا بدأنا ندرك ملامحه والذي قد يكون حصيلة تحول ثقافي.

وفي هذا السياق وضح دومنت Dumont 1968 مشكل القيم أو غيابها في مركز الاهتمامات، حيث تظهر فيه الثقافة وكأنها في حاجة إلى تجديد يبدو معها أن الشباب يلعب دورامتزايد الأهمية إما كمخترع لنماذج حياة جديدة وإما كجماعة متأثرة بإيديولوجية منقولة[1].

2. الهوية وصراع القيم في الجزائر

إن تعاقب الأجيال واندماج الشباب في بنيات المؤسسة للمجتمع تعتبر من أمهات المسائل التي جلبت انتباه ملاحظي الحياة الاجتماعية سواء كانوا كتابا، فلاسفة، مختصين في العلوم الإنسانية. فالصراعات التي تظهر والتواتر الذي ينبثق من تلاقي عالم الشباب الاندفاعي وهو في أوج توسعة النفسي الحيوي بعالم الكبار الذي أنطوى على الامتثالية التي يفرضها عليه ثقل التقاليد المتجسدة في المؤسسات

[1] نفس المرجع ، ص119-127

الاجتماعية تهم المختصين الذين يعتقدون أنهم يكشفون الجذور العديدة لمشكل عدم التكيف والجنوح وأمراض الحياة الفردية والاجتماعية.

إن تحليل ألم الشباب والكآبة والفوضوية والاستلاب التي تعبر كلها عن صعوبة قبول الشخص لذاته والبحث عن هويته تمثل مشاكل في منتهى التعقد[1] .

وفي خضم ما يشهده العصر الحديث من التغيرات السريعة التي ساعدت على تبدد الكثير من القيم وتبدلها، وساهمت إلى حد كبير في انتشار القلق والاكتئاب واضطراب العلاقات الإنسانية والشعور بعدم الأمن النفسي،أصبح في كثير من الأحيان من الصعب على البعض أن يحيا إنسانيته، بل ذهب البعض الآخر إلى أن الخلاص من ذلك يكمن في مسايرة الأمور كما هي ومحاولة التلاؤم معها، وإن رأى فريق ثالث أن الأمر كله مرهون برجوعنا إلى الله[2]

ومن المطالب الأساسية للفرد خلال مرحلة المراهقة أن يحقق هويته عن طريق قيامه بالأدوار الجنسية لجنسه البيولوجي وإلا حدث انتشار للهوية الذي يدفع به إلى العزلة والاغتراب والعديد من الاضطرابات النفسية المختلفة.فعدم التكيف والانحراف والجنوح مفاهيم متداخلة نسبيا إلا أنها محددة بالنسبة لمعايير مختلفة. فالقيم التي هي متشبعة تعبر عن حدود التدرج الاجتماعي والعرقي وتوحي ببروز ثقافات سفلى جديدة ومتنوعة تأخذ ضروريا بعين الاعتبار عندما نضع السمات التي تسمح بتصنيف البعض "كمنحرفين" أو كغير "متكيفين".

[1] دوني سزابو، دوني قاني، أليس باليزو- "المراهق والمجتمع" – دراسة مقارنة- ترجمة د. الطاهر عبسي- الأزهر- بوغنبوز ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1994، ص11

[2] عادل عبد الله محمد " دراسات في الصحة النفسية 2000 – الهوية – الاغتراب – الاضطرابات النفسية" – دار الرشاد "1-سنة 2000- ص7

فالسيرورة وتغير المجتمع هما اللذان يفرزان بكثرة التغيرات السريعة أفراد وجماعات "المنحرفين"[1] و"الأجيال الشابة باتت بلا وازع خلاق لأنها لم تتلقى التنشئة الجادة والمدروسة وباتت بلا غايات إلا غاية الارتزاق، الأمر الذي هون عليها أن تكون مسحوقة في أعماقها، مهيأة للتدمير والتنازع والعنف"[2].

فمفهوم تلاشي القيم الذي وضعه دوركايم 1951 لتقديم تفسير علمي لأسباب إحدى متغيرات الانتحار في المجتمع الصناعي لم يفقد رونقه ليصبح بفضل "مرطون" 1957 أحد المفاتيح الأساسية في التفكير السوسيولوجي الحديث. وغياب المعايير وليس القيم وعدم استقرار العلاقات الإنسانية التي تميز هذا المجتمع لا تقود فقط إلى الانتحار والانحراف وظهور أنواع الأمراض النفسية في التجمعات السكنية الكبيرة والحديثة بل عمت حضارتنا كلها لسببين أولهما تعميم نوع الحياة الحضرية التي تفرز التلاشي الخلقي وثانيهما "الدعمصة " (أي دور الشباب في التجديد ضمن الديناميكية الاجتماعية) المتولدة من دينامية نظامنا الاقتصادي[3]

وهنا يظهر حين تشتد قبضة التقاليد على رقاب الناس، فلا تترك لهم خيارا في ملبس أو مأكل أو أي وضع من أوضاع الحياة فتضيق النفوس بهذه القيود كلها، فينفجر الشباب ثائرا ساخطا غاضبا حتى يتطرف في ثورته وسخطه وغضبه بحيث لا يدع شيئا إلا حاول تغييره، فلا يبقي على ملبس قديم ولا على مأكل ولا على طريقة من طرق استخدام الفراغ وهنا تتبدل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد تبدلا جوهريا

[1] دوني سزابو- دوني قانيي- أليس باليزو-ترجمة د.عيسى الطاهر والأزهريوغنبور "المراهق والمجتمع- دراسة مقارنة" ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1994 - ص06.

[2] عشراتي سليمان - "الشخصية الجزائرية-الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية" الجزء - 1 دار الغرب للنشر والتوزيع- طبعة 2002 - ص11

[3] دوني سزابو،- دوني سزابو- دوني قانيي- أليس باليزو-ترجمة د.عيسى الطاهر والأزهر بوغنبور "المراهق والمجتمع- دراسة مقارنة" ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1994 - ص18 .

يقلب القيم القديمة رأسا على عقب وبهذا كادت الفوارق أن تنمحي بين الحياة المشروعة، ومعنى ذلك بعبارة أخرى، أن انحراف السلوك عن العرف القديم، قد اتسع مداه، حتى كاد يكون بدوره عرافا لا حق لأحد أن يعترض عليه. ليس الجديد في هذه الجماعات الثائرة من الشباب هو تمردهم على الأوضاع المألوفة، لأن شيئا من التمرد جزء لا يتجزأ من طبيعة الشباب، تشكمه تقاليد المجتمع فينشكم ويتجانس المواطنون في سلوكهم الاجتماعي المميز لهم، لكن الجديد في هذه الجماعات الثائرة من الشباب هو جرأتهم على مواجهة المجتمع بتمردهم، بحيث لا تكون للمجتمع قوة الشكم ولا يكون في وسعه أن يفرض التجانس بين أفراده.

ازدادت الهوة اتساعا بين الجيلين بزيادة التغلغل الذي تغلغلت به التقنيات (التكنولوجيا) الحديثة في الصناعة وفي شعاب الحياة نفسها،وزال المبرر الذي تحتم على الجيل الأصغر أن يصغي بالتوقير والإذعان إلى أبناء الجيل الأكبر. فسرى في الشباب ما يشبه التمرد وهو في الحقيقة رغبة في استقلالهم وتقرير أشخاصهم على الأوجه التي يرونها، وليس لأحد أن يعترض ماداموا يؤدون أعمالهم بطريقة منتجة...ومن هنا ينقلب الوضع القديم، ويكون الأولى بالاحترام والتوقير هو الشباب من الشيخ، لا الشيخ من الشباب كما كان الأمر[1].

وتستمر أزمة المراهقة في الجزائر في امتدادها نظرا للتحولات الاجتماعية الاقتصادية والثقافية السريعة كبقية المجتمعات الصناعية بالإضافة إلى تعميم التمدرس وانتشار الشباب في الجامعات إلى جانب التحرر المادي والمالي فنجده يسبح في حقل نفسي اجتماعي ويعيش أزمة تثاقف الصراعات القيم والأجيال، التناقض بين تقليدي وعصري،ديني وغيرديني، قديم وحديث.غالبا ما أدت بالشباب إلى العدوان والركض نحو

[1] زكي نجيب محمود – "ثقافتنا في مواجهة العصر"– دار الشروق لبنان 1991 – ص147

الربح السهل، فبات يستعمل كل المنابع والعلاقات للحصول على المادة وفي بحث دائم لاقتناء كل ما هو نادر في الأسواق التجارية... كل هذه المعطيات لا تسمح للمراهق لاكتساب شخصية متوازنة في المجتمع، فهو مستمر في البحث عن كل ما هو فاخر: سيارة، وسائل إلكترونية، مسكن من أعلى صنف...الخ ،إنها رموز طاردة للنجاح الاجتماعي، بظهور الانفجار الديموغرافي في المجتمع التقليدي ونووية العائلة،الصورة المثالية للأب، التسامح التربوي للوالدين أو الاستهتار... كلها عوامل تشارك في وجود "عرض حرماني سلطوي" J. Sutter، ونتيجة للتحضر المبكر والتشييد العمراني الواسع والحياء الكبيرة مع ندرة المراكز التربوية الاجتماعية الثقافية والرياضية يزيد تأزم وضعية المراهق الذي لا يجد وسائل ترفيهية أو إنشغالية تلهيه عن الضجر وتبعده عن تكوين عصابات.

إن عدم النجاح وعدم إيجاد البديل عن الدراسة وفي هذا الجو النفسي الاجتماعي يؤهل المراهق إلى حالة مرضية عقلية ونفسية مختلفة وسلوكات منحرفة[1].هذا ما يعانيه المراهق في المغرب العربي بين مشاكل العصرنة وما يقدمه المحيط من صورة خيالية للهوية المثالية من الأجداد فيجد المراهق نفسه في حيرة ومشكلة ويسقط في صراع. هل يحترم الهوية "المعطاة" أو يتبع ما يقوم به المحيط في الوقت الراهن (الهوية المعاشة يوميا) ومع سياق العصرنة وما يمليه المجتمع على الفرد في المجتمع الجزائري وفي المجتمعات الشرقية عامة مرتبط ومتشتت بقوة بالجماعة وفي بحث مستشمر عن هوية ضائعة.

وعلى حد تعبير نور الدين طوالبي: إن الوضعية الراهنة في الجزائر تختلف كثيرا عما كانت عليه من قبل خاصة قبل الاحتلال الفرنسي فنظرا للتطور السريع الذي

[1] B.Bensmail « la psychiatrie aujourd'hui »- office de publications universitaires Alger 1993, p:184-185

عرفته البلدان المستقلة حديثا والذي مس الأوضاع السياسية الاجتماعية والاقتصادية الجديدة الناتجة عن تحديات العصر المتمثلة في التقدم العلمي والتكنولوجي الذي غير مجرى حياة الإنسان المعاصر، نجده اليوم يسمح للبنات بالدراسة لتحصيل أعلى الشهادات وبالعمل على اختلاف أنواعه وأماكن وتواجده، مما أعطى لهن بعض الامتيازات والحريات التي عادت عليهن بنوع من الاستقلالية عن أوليائهن وسمح بالتفتح واكتساب ثقافة أخرى إلى جانب ثقافتهن.

إن الصراع الثقافي الذي تعيشه الأنثى في المجتمع الجزائري ابتداءا من أول اتصالها بالعالم الخارجي والحضارات عن طريق المدرسة ثم الثانوية وبعدها الجامعة ثم أماكن العمل، فهذه المؤسسات بمثابة بوابة تسمح بالتطلع لمجريات العالم وما وصلت إليه الإنسانية من تقدم ورقي بالإضافة إلى وسائل الإعلام المتعددة.

يظهر الصراع من خلال سعي الفتاة لإظهار تحررها وتقليدها للنموذج الغربي المتمثل بالتحرر من المفهوم الأخلاقي والشرفي للبكارة هذا من جهة ومن جهة أخرى لا تريد معارضة العائلة والمعايير الاجتماعية احتراما للقيم[1] التقليدية المقررة من طرف المجتمع وخاصة هذا المجتمع الذي يطالب الفتاة بسلامة بكارتها لحين زواجها ولتأمين مستقبلها للحرص على كيانها الخاص، فتلجأ إلى آليات دفاعية كحل لحالتها النفسية وتكيفا مع الاتجاهين السابقين فلهذا تلجأ للعلاقات في حدود المداعبات الجنسية والامتناع عن ربط علاقات تفقدها عذريتها.

فتجد الفتاة في اصطدام ما بين رصيدها الثقافي الاجتماعي المكتسب من العائلة ورصيدها الثقافي التعليمي المكتسب من خلال الدراسة والاحتكاك الذي يسمح

[1] زريوخ آسيا – زينب " العذرية عند المرأة الجزائرية " رسالة ماجيستر في علم النفس العام تحت إشراف أ.د معروف أحمد سنة 2005-2006،

لها بتغيير نظرتها للمواضيع، كذلك النماذج الغربية تصادفها خارج الإطار العائلي، هذه التناقضات نتيجة التداخل الثقافي أو ما اصطلح على تسمية بالمثاقفة يدفع إلى التمرد على النمط التقليدي للعائلة والإفلات من القيود الاجتماعية ويجعلها حبيسة المعايير والأحكام الاجتماعية، هذا ما تؤكد عليه راضية طوالبي في كتاب "مواقف وتصورات الزواج عند الفتاة الجزائرية " حيث توضح أن الفتاة تجد نفسها في مأزق أمام أمرين لا تستطيع اتخاذ قرار بينهما: التقاليد والقيم الراسخة ورغبتها في التغير الناجم من الاحتكاك بالنماذج الغربية الضاربة للقيم الاجتماعية والمعايير وكل ما هو محرم، وتدريجيا تتحول الحالة لصراع تعيشه البنت[1].

يعود أصل هذا الصراع إلى ازدواجية المرجع لمجموعة القيم الاجتماعية الثقافية والنفسية التي غالبا ما تكون متضاربة نظرا لأنها نابعة من ثقافتين متباينتين: الثقافة الأصلية (الأم) والثقافة الدخيلة[2].

3. الأخلاق وعلم الأخلاق

نجد قلق كل فرد من أفراد المجتمع على الاتجاه والمصير الجماعي للمجتمع نتيجة تأثير وسائل الإعلام التي تبث قيما وإيديولوجيات وتثير آمالا تكون صعوبة الاختيار فيها مرتبطة بدرجة تمسك المجتمع بالأخلاق.

وكل المغامرات تصبح ممكنة وتجد كل القضايا من يدافع عنها، فتقل قناعة الكبار، وتضعف دوافعهم في الحفاظ على القيم والمعايير الأخلاقية مما يعطي لها في نظر الشباب الباحث عن هويته طابعا غير متأصل.

[1] نفس المرجع ص33

[2] N.Toualbi "Religion – rites et mutation - Ed E.N.A.L 1984, P67

يظهر أنه من المحتمل أن تكون "الدعمصة" نتيجة طبيعية للتحولات التكنولوجية السريعة والدائمة، تعطي قيمة مفرطة لقدرات تكيف الأفراد على مستوى القيم والمعايير.

وتكون الزيادة المفرطة في العنف وإنكار القيم الأخلاقية أقوى عند المراهقين في مجتمعنا بسبب تأثيرات "الدعمصة" إلا أن الأمور تأخذ مجاريها العادية بمجرد دخول المراهقين القنوات العادية التي تقودهم إلى مواقف مسؤولة في البنية الاجتماعية الاقتصادية والثقافية للمجتمع[1].

وهنا تطرح أسئلة إذا كان نظام القيم ونظرة المراهق للحياة مناقضة لقيم الأولياء وهل تقل حدة هذه الاختلافات تدريجيا بسبب تدرجهم في مسؤوليات حياة الكبار؟

بالتدقيق ما هو موضوع الأزمة إذن؟ أهو في معتقدات الكبار التي حدودها عبر الحياة الغنية بالتجارب التي أقرتها مجموعة من النجاحات والإخفاقات، أم هو في القيم المثالية والواجبات الأخلاقية التي يدركها الصغار، ولا يستطيعون الإحساس بأصالتها؟ بهذا تطرح مشكلة وحدة أو تعدد الأخلاق في الثقافات المعاصرة، وكذلك إمكانية وجود أخلاق عالمية تتجاوز الأخلاق الخاصة بكل إطار من الإطارات الاجتماعية الثقافية لنفس المجتمع.

وفي هذا السياق أصابت "لورينغ" 1966 عندما قالت أنه لا يوجد لغة ولا معايير عالمية لتقويم الأخلاق. ويبقى المبدأ العالمي الوحيد هو أن يعمل كل واحد حسب ما يقتضيه معنى الواجب بالنسبة إليه. وتطرح أسئلة " أيكون المجتمع والثقافة الجماهيرية،

[1] دوني سزابو، دوني قانيي، أليس باليزو- "المراهق والمجتمع" – دراسة مقارنة- ترجمة د. الطاهر عبسي- الأزهر- بوغنبوز ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1994. ص20-22 .

اللذان يحددان ثقافة الأفراد في مجتمعاتنا، قادرتان على قهقرة الأخلاق ذات الصبغة الإيديولوجية تدريجيا،أي مثل التبريرات الذاتية والدفاعات الخاصة بالرجال والطبقات والأجناس لصالح أخلاق عالمية؟ فانهيار الأخلاق التقليدية تحت ضغط التحولات الاجتماعية الاقتصادية السريعة تقوي تأثيرات التدعمص. كيف تبقى إذن استمرارية الثقافة والاستقرار الشديد النسبية والمسمى بالواقعية مع ذلك للبنية الاجتماعية؟

وهذا ما يعبر عنه "ايركسون"(1963)بمقتضيات وفاء المراهقين لهوية عميقة بين تطلعاتهم وأسلوب حياتهم. يتطلب هذا الوفاء تضحية منضبطة والتزاما في التجارب لها علاقة بالمرحلة التي يمرون بها. وهكذا فإنهم يتحملون العادات، يستعملون، ويجددون تكنولوجيتها ويثورون ضد الأخلاق البالية ويعيدون صياغتها[1].

إن القيم الثقافية التي ربطت بها المعايير هي بالأحرى عناصر مكونة للشخصية ومنظمة لها وتعمل بواسطة الضغط الاجتماعي. والمظهر الذاتي للواقع الأخلاقي يفترض وجود حساسية تجعلنا متفتحين على بعض المواضيع وبعض الأشياء دون البعض الآخر فما تثمنه حساسية البعض لا تثمنه حساسيات الآخرين. فيمكن أن تجد كل القيم مبرراتها باستعمال البراهين المنطقية المقبولة نسبيا.

يكتسب المولود الجديد حساسية عن طريق التثقيف الذي يتلقاه في محيط خاص وتكون هذه الحساسية استجابة لمجموعة من القيم التي يحيك بواسطتها الطبع الفردي تغيرات لا نهائية، حيث تتطابق الغرائز الموروثة من النظام البيولوجي بالغرائز الكامنة المساوية للأولى في القوة والناتجة عن تعلم المعايير السلوكية التي تتكون والملقنة بالقوة والعقوبات والمكافآت[2]. وتتكون الحساسية المذكورة التي أثارت انتباه فرويد نحو

[1] نفس المرجع ، ص24

[2] دوني سزابو، دوني قانيبي، أليس باليزو- "المراهق والمجتمع" – دراسة مقارنة- ترجمة د. الطاهر عبسي- الأزهر- بوغنبوز ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1994، ص57.

"القيم" انطلاقا من عنصرين : عنصر المعارف التي تنقلها الثقافة وعنصر الطبّع، وهذا الأخير يطبع الصفة المزاجية والفروق الدقيقة النوعية الأقل عمومية للشعور الخلقي.

ويرتبط السلوك الأخلاقي بالحساسية والمعرفة التي تكتسب مع الأخلاقيات بالتعلم والتثقيف في وسط الأسرة والمدرسة وجماعات النظراء والولوج في الثقافة الجماهيرية تستدعي الأولى البنية الشخصية وطبعها والثانية حالة الشخص وحالة المجموعة التي ينتمي إليها في التدرج الثقافي وما تحت الثقافي في المجتمع. ويتعلق تماسك السلوك الأخلاقي بالنسبة للمعرفة والحساسية بالتقارب أو الخلط بين القيم والمعايير المرتبطة بالصراع الموجود بينها وسط المؤسسات المتنوعة للإشراك (الأسرة، المدرسة،...الخ)

يستطيع المراهق استبطان القيم والمعايير المتناقضة بدرجات مختلفة. وبالتالي يمكنهم حسب طبعهم كبح أو إعلاء أو إظهار ردود الأفعال العدوانية أمام هذه التناقضات. ويمكن اعتبار القساوة أو نجاعة العقاب أي المفهوم العاطفي لهذه القيمة أو تلك على أنها عوامل تؤثر على السلوك الأخلاقي. ويلعب نوع الانضباط الذي يتحكم في الطفل دور هام أيضا[1].

فالناس والجماعات تتجاذبهم: رغبة البقاء أوفياء لعادات حياة الأجداد والانغلاق على ما أعطته وأشرطته روابط التقاليد أو رغبة الوثوب نحو المجهول واثبات الذات أمام الأخطار تتضمنها الأشياء غير المبتدعة[2].

[1] نفس المرجع، ص61-63.

[2] دوني سزابو، دوني قانيي، أليس باليزو- "المراهق والمجتمع" – دراسة مقارنة- ترجمة د. الطاهر عبسي- الأزهر- بوغنبوز ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1994، ص64.

يؤكد أيضا "كلوارد" و"أوهليز" 1960، أن المراهقين استنبطوا الأهداف والقيم التقليدية، ولكنهم لم يتمكنوا من الدخول إلى الطرق الشرعية للحركية الاجتماعية من جراء الحدود التي تفرضها البنية الاجتماعية.

كما يرى"ماتز" و"سيكيز" أن الجانحين يقبلون عادة على القيم السائدة في المجتمع ولكن يبقى ذلك من الناحية المبدئية، فهم يصنعون هذه القيم بمواقف مختلفة وردود فعل تجعلها غير فعالة[1].

4. خلاصة الدراسة: تحليل الصراع

ليس بمقدورنا أن نتجاهل أهمية كل محاولة فلسفية جادة وشجاعة في الدفاع عن القيم الإنسانية، كما ليس بمقدورنا أن نتجاهل دور القيم في تأصيل الوجود الإنساني بل يصعب أن نتعامل مع التاريخ الإنساني بمعزل عن عالم القيم. الحضارة تمثل قيمة عليا تنشدها الإنسانية وتتطلع إليها في كل زمان ومكان ومن ناحية أخرى فهي ليست بالقيمة المستقلة عن غيرها من القيم بل أنها تدرك من خلال تواصلها واشتباكها مع القيم الحق والخير والجمال والقداسة.

فصراع القيم هو في حقيقة أمره تعبيرا عن أزمة حضارية يمكن أن تواجهها كل حضارة متى اصطدمت أيضا قيمها الجوهرية بقيم حضارات أخرى تجد نفسها في إلتقاء بها وتواصل معها ويمكن القول بأن أزمة الحضارة تعد تعبيرا عن أزمة القيم الإنسانية عندما تفقد بعدها الأخلاقي.وحسب"ماكس شيلر"القيم الدنيا هي التي أصبحت تحتل موقع الصدارة بينما توارث القيم الروحية والمقدسة في الظل"[2].

[1] نفس المرجع، ص101.

[2] وفاء عبد الحليم محمود- "القيم في فلسفة ماكس شيلر"- تصدير محمد محمدي الجزيري – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية 2004، ص9-12.

دراسة القيم تصبح ضرورة ملحة ومستمرة باستمرار حياة الإنسان بصرف النظر عما كتب فيها عبر العصور، فالمشاكل متجددة والأزمات لا تتوقف والإنسان في حاجة دائمة إلى إعادة استبصار جوهرة بالرجوع إلى أسمى ما في طبيعته وأهم ما يميزه عن ساكني الكون وهي القيم. وتزداد الحاجة إلى قيم الحق والخير والجمال عندما يستشعر الإنسان أنه بدأ ينحرف عن العادة تحت ضغط الكوارث والأزمات وبناءا تأثير مغريات ومثيرات تلهب أحط ما فيه من شهوات ورغبات ونحن على مشارف القرن الجديد.

تصبح الحاجة إلى الرجوع إلى طبيعتنا أكثر إلحاحا بعد أن سيطرت القيم المادية الحيوية على سلوكات الأفراد والجماعات والتكتلات الدولية وأحال الإنسان نفسه إلى مجرد "سلعة" وأصبحت قيمته تكمن في قابليته للبيع ،كما يقول "إيريك فروم" ولا تكمن في قيمته الإنسانية من حب وعقل أو في قدراته الفنية الرفيعة.

رغم الإنتاج المادي المتزايد فالإنسان يفقد أكثر فأكثر إحساسه بذاته الحقيقية، يشعر أن الحياة أصبحت بلا معنى، وإذا كانت مشكلة الحضارة الغربية في القرن التاسع عشر هي المادية الطاغية التي قضت على القيم الدينية فإن مشكلة هذه الحضارة في قرننا هي موت الإنسان لنفسه أو اغترابه عن ذاته أو انفصام شخصيته.

فمن الضروري الإلحاح على القيم بعامة، والقيم الأخلاقية بخاصة حتى يستطيع الإنسان التغلب على اغترابه الذي جعله إنسانا كائنا عاجزا يقيد بلا تعقل أصناما مادية من صنع يديه وحتى يستعيد مرة أخرى إحساسه بذاته الحقه القادرة على الجد والمشاركة العطوفة في المجتمع[1].

[1] نفس المرجع ص13

وحسب "شلر" فإن الاستياء وتدهور القيم ونزعة الشخص المتأصلة في الضعف ترجع لتسمم ذاتي للعقل الذي لديه نتائجه المحددة تماما. وهذا ينشأ من الكبت ومقارنة المرء نفسه بالآخرين وإحساسه أن الآخرين يمتلكون ما هو عاجز عن امتلاكه وهذا بدوره يولد الحقد والغيرة تجاه الآخر مما يؤدي على تدمير القيم.

- نتيجة أخرى هي وهم القيمة وتتمثل في محاولة الإنسان تخفيف أو إزالة التوتر وذلك من خلال بحثه عن الشعور بالتفوق أو المساواة وهو يحقق غرضه بنوع من إنقاص وهمي لقيمة الإنسان الآخر أو عن طريق عدم رؤية خواص الآخر القيمية.

بالإضافة إلى ذلك أصبحت معايير السلوك التي يسير عليها العصر الحديث والتي أدت إلى الإستياء جعلت من الربح والممتلكات معيار تقييم الفرد.ولا يقتصر المجتمع الصناعي أو العصر الحديث على اعتبار معايير القيم مادية فحسب بل أننا نجد أكثر الحالات تطرفا بعيدة تماما عن التضحية في سبيل (الدين والوطن) في حين العصر الحديث يعتبر حوادث السيارات والمصانع والمناجم "ثمن التقدم".

وفي سياق الكلام المتعلق بملكية الخيرات المادية وتعارضها مع القيم الروحية، نتذكر"أريك فروم" الذي يؤكد على الجانب الروحي مثل "شيلر" وإن كانت الطريقة مختلفة لدى كل منهما فشلر يرى أن إغفال الجانب الروحي هو السبب في تدهور القيم أما "أريك فروم" وجد أن هناك أسلوبين: أحدهما هو المسؤول عن تدهور القيم وهو الأسلوب المادي القائم على الجشع والقوة. والآخر أسلوب الكينونة الذي من خلاله يتأصل سمو القيم الإنسانية.

عموما حديث "شلر" قريب من التقاء الشرق بالغرب على حديثه عن الإستياء وأسباب تدهور القيم في الحضارة الغربية الأمر الذي يؤكد ضرورة التمسك

بالقيم الثقافية والروحية وعدم الخضوع تماما للقيم المادية كما هو الشأن في عالمنا المعاصر[1].

وفي ما يخص المجتمع الجزائري فان سبب ما يحدث في رأينا يعود إلى ما يراه مالك بن نبي أن الاستعمار غرس التناقص بين عالم الأفكار وعالم الأشياء وعبر عن نجاحه الباهر في ذلك الإجهاض السياسي في بلادنا مستخدما غالبا المثقفين أنفسهم[2].

لقد عملت أوروبا في تكوين نخبة مثقفة مرجحة قيم الفعالية على قيم الأصالة في أسلوبها الاستعماري ومنذ ذلك الحين أضحى لعالمنا الثقافي وجهان.

1- وجه يلتفت إلى ذاته بأخلاقياته الخاصة به.

2- وجه يلتفت نحو العالم وهمه الوحيد هو الفعالية.

ومن هنا كان في تكوينها خلط يرثى له ،بين مظهرين متميزين لفكرة واحدة أصالتها، وفعاليتها وهذا الخلط في نفسية النخبة المسلمة الحاضرة هو النواة التي حولها تتجمع سائر دسائس ومناورات الصراع الفكري[3].

فواقع الثقافة الجزائرية متناقصة من جهة ثراء ثقافي وفير تاريخيا من حيث اللغة والتقاليد ...الخ وغياب الفاعلية، بالإضافة إلى التناقض بين من يمثلون الذهن وهو المثقفون، بشكل يجعل ذلك التناقص حالة مرضية مجتمعية خاصة إذا تعلق الأمر بالثقافة الشخصية للمجتمع. فنجد أنها تعبر عن حالة من التفكك بين قيم ومعايير متناقصة من حيث البنية والمرجعية والعناصر.

---

[1] نفس المرجع ص186-187

[2] مالك بن نبي- "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"- ترجمة بسام بن أحمد سعيد- دار الفكر- الجزائر، الطبعة الأولى 1992، ص81

[3] نفس المرجع ،ص107

فالعمل الخاص بالذهنية العربية الإسلامية في أساسه على علاقة بالأوامر والابتعاد عن النواهي فهي مكونة صورة عن العالم متواصلة عبر الأجيال، والجزائر جزء من هذا التراث، فقد قامت بإسقاط شبكة من التحاليل المرتبطة بالمكان والزمان كتلك التي كانت محل عمل في بداية الإسلام[1] .

ومن جهة أخرى فإن الاستعمار كان له رد فعل فعال. من خلال ما قامت به الإمبريالية الاستعمارية الثقافية خلال سيرورتها الفعالة في تدمير الشخصية الثقافية المستقبلية ، وقد أدى هذا إلى اضطراب عميق في بنية المجتمع الجزائري ماضيا وحاضرا، على كل المستويات والأبعاد الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، حيث أن هذه المقومات قد تغيرت تغيرا ملحوظا ولم تستقر حتى الآن[2].

ومع بداية القرن العشرين تم التحول إلى غزو فكري وإلى مثاقفة تطيل بها الثقافة وتجعل منها مغلوبة من خلال تمرير عناصر ثقافية مغايرة لها من حيث الطبيعة والمضمون[3].

فقد يلجأ الفرد للتخفيف من صراعاته السيكولوجية إلى انتقاء ثقافي للتخفيف من هذه الصراعات. وهذا السلوك يعبر عن بنية ذهنية ذات عناصر وقيم ومعتقدات لها صبغة نفسية كمرجعية لكل سلوك نفس اجتماعي في محل غير متجانس مرتبط بتأثير ثقافي يحدد نوعيته دفرو Devereux قائلا : هناك باتولوجية عصابية تالية لموقف المثاقفة Acculturation فهذه الاضطرابات ناتجة عن فشل في آليات الدفاع التي تضعفها عادة كل حضارة معرضة لخطر التفكك.

---

[1] A.Benchehida - « de l'identité nationale prescrite à l'émergence du sujet psychopolitique »(Abdelkader Boudjeflet)- l'Algérie des principes de novembre- C.O.D.E.S.R.I.A. 1999, P209

[2] Serge Latouche « Le sous-développement est une forme d'acculturation » Bulletin Mouss – N°2 - 1982. P15

[3] Rogers Bastide « les religions africaines au Brésil » P.U.F- 2Ed -Paris 1995, P536

فآليات الدفاع مقدمة حسب فئة النوعين:النوع التقليدي بتعظيمه للقيم التقليدية كآلية دفاعية ضد الحداثة، والموقف الحداثي كآلية دفاعية عن ثقافة أخرى ضد الثقافة التقليدية. وهذا يشكل لنا صراعات في القيم والمرجعيات والمعايير، مترجمة في سلوكات واتجاهات.

وبهذا يتوصل روشيلاف سيتلي إلى وصف أصول الأمراض البيشخصية وداخل الشخصية بشكل دقيق، فيتصور علم أصول الأمراض في أن المعايير المتنافسة هي غالبا مصدر توترات وقلق لأنها تشكل جزءا من واقع مزدوج، واقع خارجي كونها مشتركة بين كل أعضاء جماعة ما، وواقع داخلي خاص بالفرد.

في هذا المجال يتشكل واقع مزدوج بين أعضاء جماعتين جماعة في موقع دفاع وأخرى في موقف اتباع. يجابه فيه الفرد من قبل منهجين متناقضين، وتسمى الصراعات التي تنتج عن ذلك، على حد سواء صراعات المعايير وصراعات القيم وصراعات الذهنيات أيما حال حدوثها تستدل هذه الصراعات على وجود نسق المثاقفة المحترف على نطاق واسع سوف تعطي معنى مميزات إلى حد ما، لكي تلتمس التفاعل الثقافي عندما تبرز هذه التأثيرات تحسسا كبيرا من جانب العنصر الاجتماعي اتجاه رموز الثقافة الجديدة[1].

[1] نور الدين طوالبي– "الدين والطقوس والتغيرات" – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر– ط3، 1988، ص54

المراجع

المراجع باللغة العربية:

1. دوني سزابو، دوني قاني، أليس باليزو، "المراهق والمجتمع" : دراسة مقارنة-،ترجمة د. الطاهر عبسي- الأزهر- بوغنبوز ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1994.
2. زريوخ آسيا – زينب، " العذرية عند المرأة الجزائرية "، مذكرة ماجيستار في علم النفس العام ،إشراف أ.د معروف أحمد، ' غير منشورة، سنة 2005-2006.
3. زكي نجيب محمود ، "ثقافتنا في مواجهة العصر"،دار الشروق لبنان، 1991.
4. عشراتي سليمان، "الشخصية الجزائرية:الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية" الجزء- 1، دار الغرب للنشر والتوزيع، طبعة 2002.
5. مالك بن نبي، "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، ترجمة بسام بن أحمد سعيد- دار الفكر- الجزائر، الطبعة الأولى 1992.
6. نور الدين طوالبي، "الدين والطقوس والتغيرات" ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط3، 1988.
7. وفاء عبد الحليم محمود، "القيم في فلسفة ماكس شيلر" ،تصدير محمد محمدي الجزيري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية 2004.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. A.Benchehida - « de l'identité nationale prescrite à l'émergence du sujet psychopolitique »(Abdelkader Boudjeflet)- l'Algérie des principes de novembre- C.O.D.E.S.R.I.A. 1999.
2. N.Toualbi "Religion – rites et mutation - Ed E.N.A.L 1984.
3. Rogers Bastide « les religions africaines au Brésil » P.U.F- 2Ed -Paris 1995
4. Serge Latouche « le sous développement est une forme d'acculturation » Bulletin Mouss – N°2 – 1982.